

والفصل الأول: أدب الرحلة في شبه القارة الهندية.
الفصل الثاني: تطور ازدهار أدب الرحلة، وفيه تغطية تاريخية لمرحلتين:

الأولى: في بداية القرن العشرين الميلادي وحتى قبيل تقسيم شبه القارة الهندية.
الثانية: ازدهار أدب الرحلة في العصر الحديث بعد عام ١٩٤١م / ١٣٦٠هـ / ١٩٩٥م.

الفصل الثالث: الرحلات الأردنية إلى الجزيرة العربية، وفيه تناول للرحلات الأولى إلى الجزيرة العربية، الرحلة الحجازية والرحلة بعد تقسيم شبه القارة الهندية.

الفصل الرابع: اتجاهات الرحلة الأردنية إلى جزيرة العرب قبل توحيد المملكة العربية السعودية.

الفصل الخامس: توحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز وصدى ذلك في الرحلة الأردنية.

الفصل السادس: تأسيس المملكة العربية السعودية وأثره في اتجاهات الرحلة الأردنية.

الفصل السابع: النهضة الحضارية في المملكة العربية السعودية وتأثيرها في الرحلة الأردنية.

الفصل الثامن: الرحلات الشعرية والخيالية والرحلات المترجمة.

الفصل التاسع: دراسة تحليلية للرحلات الأردنية في الجزيرة العربية.

الفصل العاشر: مختارات مترجمة عن الرحلات الأردنية للجزيرة العربية.

ولو أنصف الباحث لتخلص من عدد من هذه الفصول، إما بالحذف وإما بالدمج، فالفصل الأول والثاني هما من باب التمهيد الطويل، بل من الحشو والفضول، فالفصل الأول يعرض النماذج الأولى لأدب

١٦٥٧م (٢)، وتارة رابعة رحلة مولانا جعفر تهانسييري تاريخ عجيب المسمى بسوانح أحمدي أول كتاب بالأردنية عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م (٣).

إذا تجاوزنا هذا الخلط في تحديد بداية الرحلات الأردنية فإن رحلة نواب صديق حسن خان قنوجي بعنوان: رحلة الصديق إلى البيت العتيق سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م «تعد في رأي بعض النقاد أول رحلة في الأدب

الأردني، والمقصود هنا أول رحلة تصدر في كتاب منفصل بهذا الشكل الواضح» (٤). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الامتداد الذي تكفل بتغطيته الدكتور سمير عبد الحميد يأتي على أكثر من قرن إذا علمنا أن آخر رحلة تناولها الكتاب بالتحليل هي رحلة الشيخ أحمد حامدي عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م (٥).

وهذا الامتداد الأفقي في تناول كان قصدا من مقاصد المؤلف في محاولة استيعاب الرحلات الأردنية جميعا إلى جزيرة العرب، التي عبر عنها بقوله: «وتجدر الإشارة إلى أن البحث تناول تقريبا جميع الرحلات في الأدب الأردني ذات الصلة بالجزيرة العربية منذ نشأة اللغة الأردنية وحتى السنوات الأخيرة الماضية» (٦).

من هنا راح الباحث يلهث وراء التتبع الإحصائي للرحلات، والسرد الاستقصائي للمؤلفات، والتعريف بها مختصرة تارة في سياق مطالب تاريخية، ومفصلة تارة أخرى في إطار مطالب سياسية ومقاصد إعلامية، إذ إنها «وثيقة تؤرخ لمراحل تطور المنطقة بجوانبها المختلفة» (٧).

ثانيا: المنهج

وفي حمى ذلك جاء الكتاب في مدخل وعشرة فصول: كان المدخل في مفهوم الرحلة وأهميتها، والرحلات في التاريخ الإسلامي.



د . سمير عبد الحميد



استمر حتى ١٨٧١م، ثم تابعه الباحث في المبحث الثاني حتى عام ١٨٩٢، فأبي مباينة بين المبحثين، وأين المفارقة في مضمون التاريخين! ومثل ذلك يقال عن الرحلة الحجازية بعد ١٩٠٢^(١٠) إذا كان تاريخ آخر رحلة هو ١٩٣٢.

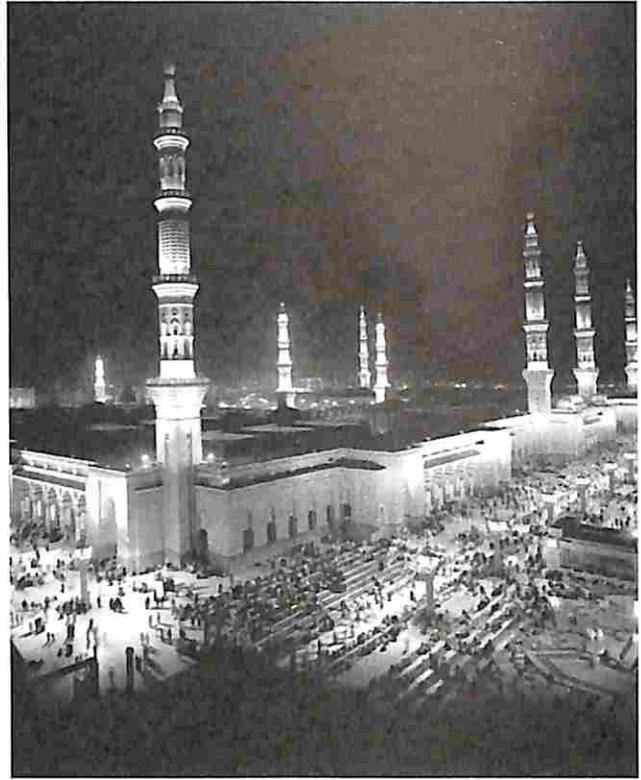
وهذه الرحلات داخلية في تاريخ توحيد المملكة (الفصل الرابع)، وكذلك يقال عما ذكره الباحث تحت عنوان الرحلة بعد تقسيم شبه القارة الهندية ١٩٤٧م، فرحلة مسعود عالم الندوي وأبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي ونسيم حجازي التي عرض لها الباحث في إطار الزمن المطروح، تناولها بالتفصيل في الفصل السادس، على أنه لم ينتبه إلى تسبب عناوينه حين اصطحب عبارة دالة على التداخل والتأجيل، إذ ما فتئ الباحث يسطحب مردداً في تناوله للرحلات عبارة تأجيل الحديث عنها على النحو التالي:

- (ص ١٢٩ س ١١) سوف يأتي الحديث عنه (سفرنامه شيخ الهند).
- (ص ١٢٣ س ٦) وسيرد ذكر نماذج الرحلة (رحلة العلامة غلام رسول).
- (ص ١٤٣ س ٦) وسيرد ذكر هذا في حينه.
- (ص ١٣٦ س أخير) وسيأتي الحديث عن الرحلة بالتفصيل (رحلة أبي الأعلى المودوي).
- (ص ١٣٧ س ٣) لأسباب سيرد ذكرها.
- (ص ١٣٧ س ١٤) سيأتي ذكر رحلته فيما بعد (رحلة نسيم حجازي).
- (ص ١٣٧ س أخير) على أن تشمل الفصول التالية البعض الآخر من هذه الرحلات.
- على أن تاريخ الرحلات التي توقف الباحث عندها بالعرض والتفصيل كان ظاهر الدلالة على اندغام هذه الرحلات في الفصول اللاحقة:
- رحلة أرض مقدسة للسيدة كنيذ محمد بيغم ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.
- رحلة ومضت القافلة - لألطف حسين قريشي ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

الرحلة في شبه القارة الهندية^(٨)، وهي منبئة الصلة بعنوان الكتاب من ناحيتين، الأولى: اتجاه الرحلات إلى أفغانستان وإيران وبورما وجزر أنديمان وأوربا والأندلس وحول العالم. الثانية: أن معظم كتاب الرحلات المذكورين في هذا الفصل لم يكونوا أدباء، ولهذا تخرج رحلاتهم من خانة أدب الرحلة^(٩)، والفصل الثاني بمبثته لاحق بالفصل الأول من حيث اتجاهات الرحلة الأردنية المكانية، أفغانستان وإيران ولندن وباريس وألمانيا، وروسيا والصين واليابان، والأندلس وأفريقيا، ومصر والشام، وحظيت تركيا بالنصيب الظاهرة في هذا المجال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الرحلات الحجازية في هذا الفصل عارضة وهامشية، إذ ذكرت من خلال سفرنامه حجاز ويوميات مباركة^(١٠)، زد على ذلك أن ازدهار الرحلة حده الباحث في عنوان المطلب الثاني للفصل بدءاً بعام ١٩٤١ وانتهاء بعام ١٩٩٥م، غير أن الباحث أنهى الحديث عن الرحلات بعام ١٩٨٣م، بالإشارة إلى رحلة أسعد كيلاني إلى إيران^(١١)، وإذا علمنا أن الباحث ترك أدب الرحلة من غير ضميمه مخصصة للنوع (الأردية) والاتجاه (جزيرة العرب) جاز لنا أن نقرر بثبات أن الفصل الثاني بمبثته هو من الحشو الذي لا طائل فيه. وفي الفصل الثالث مبحثان، عرض الأول للرحلات الأردنية الأولى إلى الجزيرة العربية، إلا أن ماجاء تحت العنوان غير مؤتلف به، إذن إن الرحلات المذكورة ليست أردية اللغة، بل فارسية أو عربية، فمن الرحلات الفارسية المذكورة رحلة ناصر خسرو سنة ١٠٤٥م، ورحلة جذب القلوب إلى ديار المحبوب للشيخ عبد الحق دهلوي سنة ١٥٨٩م وفيوض الحرمين لشاه ولي الله الدهلوي سنة ١٧٢٨م، ومن الرحلات الفارسية التي ترجمت إلى الأردية: مشاهدات حرمين شريفين. وجذب القلوب إلى ديار المحبوب أو ترغيب السالك إلى أحسن الممالك.

وفي المبحث الثاني تناول الباحث الرحلة إلى الجزيرة العربية قبل ١٩٠٢ وبعد ١٩٠٢، وهذان التاريخان ليسا حديين أو مفصليين في تاريخ الرحلة الأردنية إلى الجزيرة العربية، إذ إن عرض الرحلات الأردنية في المبحث الأول

عام ١٩٠٢، وبعد عام ١٩٠٢، إنها لافتات كبيرة رفعها الباحث شعارات لفصول بحثه من غير أن يكون لها آثار ظاهرة في التباين والبحث، خاصة إذا علمنا أن مرتكز هذه العناوين (اتجاهات الرحلة) حدد إقامته الباحث في منافذ دخول الرحلات الأردنية إلى الجزيرة العربية، إذ كانت قبل توحيد المملكة تبدأ من جدة، أو عدن أو مصر، فصارت بعد توحيدها يبدأ السفر فيها من الدمام والظهران ومن العراق إلى المملكة، وهذا كشف عنه العنوان «وجهة جديدة للرحلة الأردنية في الجزيرة العربية»^(١٣)، «تنوع مسار الرحلة»^(١٤)، الذي انضوى تحت عنوان الفصل السادس «تأسيس المملكة العربية السعودية وأثره على اتجاهات الرحلة الأردنية»^(١٥).



لقد كان الباحث مسكوناً بهاجس تغيير مسار الرحلات الأردنية في الدخول إلى المملكة العربية السعودية، وجعل من هذه الظاهرة القشرية قيمة كبيرة من قيم توحيد المملكة، وأثراً من آثارها المهمة على الرغم من أن هذا التنوع في المسارات وإن كان دليلاً على وحدة المنافذ والمعابر والسيطرة عليها، إلا أن الأمر في ذلك مرجعه إلى التطور في الاتصالات والمواصلات فضلاً عن تعدد مراكز الحج في العالم الإسلامي.

- رحلة مرآة الحجاز لراجة محمد شريف ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.
- ... رحلة (مئتا يوم في الحرم) لمحمد أسلم ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م.

وفي الفصل السابع «النهضة الحضارية في المملكة العربية السعودية وتأثيرها على الرحلة الأردنية» كان التحول في هذا الفصل من المؤثر التاريخي والسياسي إلى المنتج الثقافي والمادي، وهو تحول إيجابي في هيكلية البحث، لولا أنه لم يخل من ملاحظ قللت من فاعلية التحول والعدول فيه عن النمط السياسي والتاريخي وهي كما يلي:

تجدر الإشارة إلى أن ذكر «قبل» و «بعد» في عناوين المباحث المطروحة السابقة من الأدلة الواضحة على تهريب الباحث لبحثه من مراكز الانضباط العلمي والتدقيق المنهجي، إذ ليس في هذه القبلية والبعديّة أي تغيير أو تباين ظاهر، في الأنواع والمحتوى، بل إن طرح التاريخ نفسه لم يفسر الباحث دلالاته ومرجعية الارتكاز فيه، فضل دون فاعلية في الحضور والتقسيم.

- إن عنوان هذا الفصل جاء في المبحث الثالث من الفصل السادس بعنوان «ازدهار الجوانب الحضارية والثقافية في الجزيرة العربية»^(١٦).
- إن الظواهر الحضارية (الثقافية والعلمية والعمرانية) التي بلورها البحث جاءت مبثوثة وبخطوط حادة في الفصول الإعلامية السابقة.
- تكرار تحليل رحلة «وتمضي القافلة»، ورحلة «لبيك»،

ومثل ذلك يقال عن الفصل الرابع (اتجاهات الرحلة الأردنية.. قبل توحيد المملكة)، والخامس (توحيد الجزيرة على يد الملك عبدالعزيز وصدى ذلك في الرحلة الأردنية) والسادس (تأسيس المملكة وأثره على اتجاهات الرحلة الأردنية) فما الفوارق المحورية بين (توحيد المملكة العربية السعودية) و(تأسيسها) و قبل توحيد المملكة، وبعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز، وقبل

- الثاني: إعادة تحليل الرحلات ذاتها التي جاءت في السرد التاريخي في الفصول السابقة، وهي كالتالي:
- رحلة سيد شهيد أحمد (ص ٤٨٧ - ٤٩٢) سبق تناولها (ص ١١٤ - ١١٨) من الفصل الثالث.
- رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري (ص ٥١١ - ٥١٥) سبق تناولها (ص ١٨٦ - ٢٠٣) من الفصل الرابع.

- رحلة الشيخ أبي الحسن الندوي (٥٣٣-٥٤٠) وقد سبق الحديث عنها موجزا (ص ١٣٥-١٣٦) و (ص ٢٦٦-٢٦٧).

- رحلة لبيك لممتاز مفتي (ص ٥٤١-٥٤٢) وقد سبق تناولها (ص ١٤٢-١٤٤) و (ص ٤٠٩-٤١٥).

- رحلة سلطان داود (ص ٥٤٣-٥٥١) سبق تناولها باختصار شديد (ص ١٣٨).

أما الفصل العاشر «مختارات مترجمة عن الرحلات الأردنية للجزيرة العربية» فيشتمل على عشرة نماذج، سبعة منها تكرر تحليلها في فصول البحث السابقة، وهي



الملك عبد العزيز كما يلي:

- رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري (ص ٥٥٩-٥٦٩) سبق عرضها (ص ١٨٦-٢٠٣) و (ص ٥١١-٥١٥).
- رحلة العلامة غلام رسول مهر (ص ٥٦٣-٥٦٩) سبقت الإشارة إليها (ص ١٣٣) وسبق تحليلها بالتفصيل (ص ٢٢١-٢٣٩).
- رحلة الشيخ أبي الحسن الندوي (ص ٥٧٠-٥٧٣) سبقت الإشارة إليها (ص ١٣٥-١٣٦) وسبق تحليلها (ص ٥٣٤-٥٤١).
- رحلة الشيخ مسعود عالم الندوي (ص ٥٧٤-٥٨٦) أشير إليها (ص ١٣٤-١٣٥) وحلت بالتفصيل في الفصل السادس (ص ٢٦٨ - ٣١٦).

ورحلة «مشاهدات الحرمين» إذ جاء تحليل الرحلة الأولى ص ١٤٠، والثانية ص ١٤٣، والثالثة ص ١٤٥. وفي الفصل الثامن: ينكسر الترتيب السرد التاريخي بالرحلات الشعرية والخيالية والمترجمة على الرغم من أن هذه الرحلات لا تمثل ظاهرة، إذ عرض الباحث لرحلتين مصوغتين شعرا متباينتين زمانا الأولى عام ١٩٤٨ والثانية ١٩٨٣.

أما الفصل التاسع: دراسة تحليلية للرحلات الأردنية في جزيرة العرب، فهو إعادة منتقاة لدراسة عشر رحلات على أسس متباينة فكريا (الرحلات العقدية)، وسياسيا (الرحلات الرسمية)، واجتماعيا وأسلوبيا (الرحلات الصحفية والأدبية).

وهذا الفصل كان يمكن أن يكون له شأن في ختام السرد التاريخي اللاهث في تتبع الرحلات وإحصائها، لو أن الباحث أقامه على أسس تحليلية عميقة للمضامين والأساليب، ليكشف عن ذاتية في الفهم والتعليل والتفسير والربط، لكن هذا الفصل لم يختلف عن

الفصول السابقة في الإعلامية والدعائية، ويسجل على هذا الفصل الملاحظات التالية أيضا:

- الأول: براءة أكثر العناوين من المضامين المنضوية تحتها، ومثال ذلك على سبيل الاستدلال، رحلة القاضي محمد سليمان المنصوربوري التي جاءت تحت عنوان: الرحلة ودرجة التزام الرحالة نحو عقيدته، حيث جاءت العناوين التالية مناط اهتمام الباحث في هذه الرحلة: محطة السكك الحديدية، ومشاهدات في الطريق، السوق، وصف المدينة المنورة وسكانها، الحياة الاجتماعية، النهب والسلب^(١٧)، والتساؤل هنا أين الالتزام نحو العقيدة؟ وكذلك يقال عن عنوان الكتابة الصحفية وما جاء تحته... إلخ.

في المراد، والفاعلية في المقصود، والتأثيرية في التلقي والتوصيل.

ثالثاً: الظاهرة الأدبية (أدبية الرحلات)

وحين غاب المنهج القويم أو القريب من القوامة عن كتاب (الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردني)، لأن صاحبه أراد أن يكون مخلصاً للاستقصاء والإحصاء والتفصيل والتكرير الذي يؤكد القضايا العقدية والأمنية والعلمية والصحية والعمرائية والخدمية، كان

طبعياً أن يكون الالتفات إلى الصبغة الأدبية

هامشياً، إذ لم يقف الباحث عندها إلا

وقوفاً عارضاً، وكان المنتظر منه وهو

يتناول فناً أدبياً (فن الرحلات)

أن يفرد فصلاً يتبصر فيه

الخصائص الجمالية في اللغة

والتصوير والوصف والبناء

والسرد، لكنه لم يفعل، وظن

أن العناوين العارضة التي كان

يعترض السرد التاريخي بها تسد

الحاجة، وتدرك المطلوب، غير

أن التباين بين العناوين والمحتوى

في هذا المجال كان ظاهرة لافتة،

فمن ذلك العنوان الذي طرحه الباحث:

«السمات الأدبية للرحلة الحجازية بعد سنة

١٣٢٠هـ/١٩٠٢م» إذ جاء في تجسيده ما يلي: «استمر

تركيز الكتاب في هذه الفترة أيضاً على بيان مناسك

الحج والعمرة، ووصف الأماكن بطريقة تفيد المسافرين

إلى الأراضي المقدسة، واستعان البعض برسم صور

وخرائط الأماكن الهامة التي يمر بها الحجاج، كما

استفادوا أيضاً من المصادر الدينية كالدر المختار وفتح

القدر وغيرها.

وفي هذه الفترة اتسعت المساحة الجغرافية التي

يتجول فيها الرحالة، واتسعت المساحة التي يعبر فيها

أيضاً عن مشاعره وأحاسيسه، مما يعطي الرحلة سمة

أدبية واضحة إلى حد ما، بل زادت العواطف أحياناً،

- رحلة الأديب ماهر القادري (ص ٥٨٧-٥٩٤) تكرر لما سبق تحليله في الفصل السادس (ص ٣١٧-٣٢٥).

- رحلة أبي الأعلى المودودي (ص ٥٩٥-٦٠٧) تكرر لما سبق تحليله في الفصل السادس (ص ٣٤٤-٣٨٠).

- رحلة الأديب ممتاز مفتي (ص ٦١٧-٦٢٢) تكرر تحليلها في أكثر من موضع (ص ١٤٢-١٤٤) و(ص ٤٠٩-٤١٥) و(ص ٥٤١-٥٤٢).

ولا يشفع لهذا التكرار ما ذكره الباحث أنه راعى

في اختيارها (الترتيب الزمني، وبساطة

أسلوب الكاتب ورسائله، وقدرة الكاتب

ومكانته ومنزلته بين أدباء الأردنية..

والتنوع في الموضوع الذي يعالجه

الأدباء في رحلاتهم^(١٨). لأن هذه

النماذج جاءت صماء، بلا تحليل في

العرض والسرد غير أنها تحللت

من العناوين الإعلامية التي حرص

الباحث على إشهار غائيتها.

وهكذا خلا المنهج التاريخي

الأفق في العرض والسرد الذي

اعتمده الباحث في أكثر فصول البحث

من الفاعلية في بلورة التطور والتنامي في

القضايا التي رصد الباحث بحثه للترويج لها

والإبانة عنها، إذ حالت بعثرة القضايا التي حوتها

الرحلات دون الوقوف عليها مجتمعة، وإدراك التطور

الذي أصابها بيسر وسهولة، دون الغاية في الاستيعاب

إذ جاءت أشتات غير مجتمعات، وقضايا متناثرات، فلو

ضم الباحث النظير إلى نظيره والشبيه إلى شبيهه كان

ذلك أجدى وأنفع. ولكن هذا الأمر يحتاج إلى منهج غير

الذي طرقه الباحث، وقد كان ذلك قريباً منه حين لمس

بعض محاوره في الإشارة إلى سمت بعض الرحلات^(١٩)،

إذ كان منها الإرشادية، والرسمية، والعلمية والأثرية

والاقتصادية، والشعرية والخيالية... ولو فعل ذلك

لتخلص من هذا التكرار الذي أصاب البحث بالترهل،

ولتوقف البحث عند عدد قليل من الفصول ذات الإيجابية



الشيخ أبو الحسن الندوي

على بيان المناسك... ووصف الأماكن بطريقة تفيد المسافرين... كما استفادوا من المصادر الدينية كالدر المختار» وقوله: « واتسعت المساحة التي يعبر فيها أيضا عن مشاعره و أحاسيسه مما يعطي الرحلة سمة أدبية واضحة إلى حد ما، بل زادت العواطف أحيانا، وسيطرت على بعض الكتاب الأدباء...» وقوله: « انفردت كل واحدة بميزة خاصة تبعا لكاتبها»، « أسلوب الكتابة ميزهم عن بعضهم البعض وبقيت القيمة الأدبية كما هي».

وبالصفة الأسلوبية العامة المطلقة دون تحديد أيضا، تباينت بعض الأحكام العارضة خلال التعليق على بعض الرحلات، إلا أنها تصلح أن تقال في أكثر من نص، كقوله: « بيان المشاعر بأسلوب نثري رائع»^(٢٣)، «مستوى أدبي رفيع»^(٢٤)، ومثل ذلك ما جاء في أحكامه الأسلوبية على بعض الكتاب كقوله عن قيوم قريشي: « والكاتب صاحب قلم يمتاز بسهولة أسلوبه، وانتقاء ألفاظه، وسلاسة عباراته»^(٢٥)، وكقوله عن حافظ لدهيانوي: « فكان لأسلوبه الجذاب أثر عظيم على قراءة الأدب الأردني، نظرا لما يتمتع به من قدرة فنية على التعبير الدقيق عن الأحاسيس الإيمانية»^(٢٦)، وعن أسلوبه في وصف بعض الأماكن يقول: «كما ذكرنا يتميز الكاتب بتفرده في أسلوبه الوصفي وهو عادة يمزج عبق التاريخ بما يشاهده»^(٢٧).

ولا يكاد يبرح الباحث (الدكتور سمير عبد الحميد) جانب الثناء على الرحلات وصفا وتعبيرا مجملا غير مفصل، إذ لا نجد موقفا في الكتاب ناقدا للبنية والتشكيل لأي من الرحلات، إلا ما كان من قبيل المبادرة النادرة في مثل قوله عن رحلة شعرية بعنوان (كاروان حرم): « والحقيقة أن هذا الديوان ومحتواه الشعري لا يمثل الرحلة تمثيلا حقيقيا، لأن الشاعر لم يمض في رحلته كما مضى الأدباء الذين كتبوا رحلاتهم نثرا، ومن هنا افتقدت الرحلة إلى الترتيب الزمني من ناحية، والسرد القصصي من ناحية أخرى، بالإضافة إلى استطراداته العديدة فهو حين يكتب عن الطائف، لا يكتب عنها لأنه زارها، بل يكتب عن سفر رسول الله ﷺ إليها لتبليغ

وسيطرت على بعض الكتاب الأدباء، وبدأت الرحلات الأردنية تتناول موضوعات متنوعة مثل مناقشة الأمور المؤثرة على المنطقة التي يزورها الكاتب، وإبداء وجهات نظر سياسية، ومناقشة موضوعات العلاقات بين الدول، هذا بالإضافة إلى ظهور الرحلة الرسمية، فقد قدم بعض الرحالة ضمن وفود رسمية إلى الجزيرة العربية وبخاصة بعد توحيدها»^(٢٠).

وتحت عنوان «خصائص الرحلة الأردنية في العصر الحاضر» قال الباحث: « ظهر عدد كبير من الرحلات انفردت كل واحدة منها بميزة خاصة تبعا لكاتبها، ويصعب بالطبع حصر هذه الرحلات، ولهذا سنعمل على انتقاء بعضها، ونشير باختصار على أن تشمل الفصول التالية البعض الآخر من هذه الرحلات»^(٢١).

وتحت عنوان «الطابع العام للرحلات الأردنية المعاصرة إلى الجزيرة العربية» جعل الباحث سرعة الحركة في السفر المعاصر تقعد الرحلة «عمق التفكير وإعمال التأمل.. والتدقيق والتحصيص والنقد السليم أحيانا، وتضمنت الرحلة تداخلا واضحا للعناصر الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وإن كان أسلوب الكتابة لدى المؤلفين قد ميزهم عن بعضهم البعض، وبقيت القيمة الأدبية للرحلة الأردنية كما هي، وإن توقف الأمر على مكانة الأديب ومقدرته وبراعته في فنه، حين يعرض لانطباعاته، مما يجعل من رحلته فنية بمعنى الكلمة، وليست مجرد سرد لأحداث أو وصف لمشاهد»^(٢٢).

إذا استثنى المتلقي النص الأول (السمات الأدبية) فإن النصين الآخرين فيهما عموم بعيد عن خصوصية الوصف بالأدبية «خصائص الرحلة» و «الطابع العام للرحلات» ولعل في ذلك ما يبرئ الباحث من تبعة الفنية والأدبية، غير أن المقاصد كانت معقدة على هاتين الظاهرتين من خلال إجرائية الكلام.

والملاحظ أن تحليل الباحث في هذه المحطات الثلاث كان فيه لواز إلى التعميم والتكبير، هروبا من الخصوصية الأسلوبية، كقوله: « استمر تركيز الكتاب

ولم تكن أشكال المكان قصرا على الشخصية والزمان، بل إن (الحج) كان الدافعية الأولى لتشكيل المكان، فضلا عن الذات وتدايعاتها في المكان بالتذكر والحلم، إذ أظهرت هذه وذلك خصوصيات جمالية مميزة.

رابعا: أشكال المكان في الرحلات الأردية:

١ - المكان / الشخصية (الحجاز، الرياض ومدن الجزيرة العربية).

أبرزت الرحلات الأردية إلى الجزيرة العربية عددا من الشخصيات السياسية الرسمية والعلمية والاجتماعية التي كان لها مآثر متجلية في المكان، ذلك أن الإنسان إذا أغنى المكان بحضوره فيه، فإنه يمنحه جوانب من خصوصياته.

وكان للسلطان المعظم (سلطان تركيا) عبد الحميد مآثر سياسية، فهو يهتم بأمن الحجاج ورعاية شؤونهم، فهو « يعمل على نزع أسلحة البدو، مما جعل الطرق آمنة إلى حد ما، كما استقدم العديد من العساكر الأتراك بهدف القضاء على البدو المغيرين»^(٢٠)، بل إن السلطان «قام بإجراءات أمنية مشددة فقلّت أو انعدمت مخاطر الطريق، وأخذت الأسلحة من البدو، وعين بعض المسؤولين لحراسة طرق القوافل»^(٢١).

ويقف نواب حاجي أحمد حسين في رحلته سفرنامة وقفة طويلة عند الأحوال الأمنية في مكة، والممارسات السيئة من البدو حول مكة، والأتاوات التي كانت تجمع من الحجاج لحمايتهم بالتفاهم أحيانا وبالإيذاء أحيانا أخرى، وينقل تباين الرأي في موقف السلطان عبد الحميد خان من ذلك كله، لكنه يبرئ السلطان من ذلك ويعزز أمانته في رعاية شؤون الناس وعدالته فيهم إذ يقول: «ويتعجب الحجاج لماذا كل هذه الأمور السيئة في عهد حكومة السلطان الذكي عبد الحميد خان؟! ويعتقد البعض أن السلطان يعرف كل هذه المساوئ، ولكن الأمر غير ذلك، فلو علم لتصرف وقضى على هذا السوء بينما يعتقد البعض الآخر أن هذه الضرائب والأتاوات تذهب إلى السلطان، ولهذا فهو لا يحاول رفع هذا الظلم، ويعتقد الآخرون أن السلطان ساكت بسبب التجهيز والإعداد



الدين الحنيف، إلا أن بعض عناصر الرحلة موجود لديه، فهو حين يصل مثلا إلى المدينة يصفها، ويتحدث عن المسجد النبوي، ثم يرحل عنها فيصف يوم الرحيل ومشاعره، ويصل إلى الهند، فتشده الذكريات من جديد إلى الأراضي المقدسة»^(٢٨).



وإذا تجاوزنا الملاحظ المنهجية السابقة فإن في الكتاب جهدا لا يخفى في الاستقصاء والإحصاء، إذ يعد مرجعا إحصائيا تحليليا للرحلات الأردية إلى جزيرة العرب، التي حملت قضايا ثمينة في السياسة والتاريخ، وأبانت عن أبعاد اقتصادية واجتماعية، فضلا عن طبائع نفسية.

وهذه القضايا والأبعاد ينتظم شمل ألوانها، ويجمع شتات أنواعها سواء منها الرسمية والذاتية، المكان بجماليته، إذ لم يعد حيزا ماديا، ومشهدا حسيا، أو لافتة إعلانية، بل أضحى في المفهوم الحديث شبكة من العلاقات الفكرية والثقافية والنفسية التي يحققها المكان بالتضافر مع عنصره أفعه: الزمان والشخصية، إذ لا يمكن تناول هذه الوحدات الثلاث (زمن، مكان، شخصية) باستقلالية دون أن تخترق هذه الوحدة من قبل الوحدتين الآخرين، لأن طبيعة هذه الوحدات تكاملية تضافرية^(٢٩).

لتنقية مياه البحر، وجعلها صالحة للشرب، والماء صاف ولذيذ»^(٢٩).

فالسُلطان عبد الحميد هو محور المكان في زمن الخلافة العثمانية، وإليه تنسب مآثره وجماليته، ولئن كانت مكة والمدينة في موقع الوقفة المتأنية من الرحلة الأردنية فلأنها محط العبادة (الحج) ومرتكز غاية الرحلة، غير أنه قد ذكرت مآثر في مدن أخرى غير أنها كانت عارضة كالمطائف، وينبع، والعقبة...



ويأتي الملك عبد العزيز في المرحلة التالية لانتهاء الخلافة العثمانية، فكان علما في المكان، وتجاوزت مآثره (مكة والمدينة) إلى مدن كثيرة في الجزيرة، كالرياض وجدة والمطائف وغيرها.

وتبدو معالم شخصية الملك عبد العزيز جمالية الأبعاد الظاهرية والباطنية في الرحلات الأردنية، فهو بسيط اللباس، كما يقول غلام رسول مهر، إنه « كما هو دائما، في لباس بسيط وبنفس العبادة البسيطة وفي قدميه ذلك (الصنديل) النجدي»^(٣٠)، ويؤكد عبد الماجد الدرايا آبادي: « كان لباس السلطان بسيطا، لا يختلف حقيقة عن لباس أي شخص آخر، وتميزت شخصيته ببساطة شديدة، ولولم يخبرنا أحد بأن هذا هو السلطان لما عرفناه، ودعوت له الله أن تكون حياته وأخلاقه بكل جوانبها بسيطة بساطة لباسه هذا، وببساطة شخصيته هذه»^(٣١).

والملك عبد العزيز هو محور المكان في الرحلات الأردنية التي تلت عهد الخلافة العثمانية، «لقد كان سوء الأمن والاضطراب الذي أعقب عهد الخلافة الراشدة سببا في زيادة المشقة، والحمد لله، فإن الأمن والأمان في عهد السلطان عبد العزيز يتحقق»^(٣٢).

وإذا كانت هذه الإشارة المقارنة بين عهدين جاءت عارضة سريعة، في رحلة مولانا غلام رسول مهر (عام ١٩٣٠م) فإن التأكيد على ذلك جاء في الرحلات التالية بعد ذلك، معللا بأسباب من تطبيق الشريعة الإسلامية في حد السرقة خاصة، إذ يقول الأديب ماهر القادري في

لسكة حديد الحجاز، كان يفكر بطريقة تختلف عن الآخر... والله أعلم لماذا يسكت السلطان على هذا... إنها أمور سياسية، لأن طبيعة السلطان تأبى الظلم، وعرش الدولة العثمانية لم يعتله مثل هذا السلطان»^(٣٣).

وللسُلطان عبد الحميد مآثر أخرى دينية وعلمية وحضارية وصحية، فقد كان اهتمام السلطان بالحرم المكي والمسجد النبوي ظاهرا، إذ بلغ « عدد خدم الحرم المكي ستمئة وأربعين خادما من بينهم ثلثمئة موظف، وهم معينون من قبل السلطان»^(٣٤)، وقد تمت إنارة الحرم بالكهرباء قبل سنة ونصف من عام ١٩٢١م^(٣٥).

وفي الناحية العلمية يذكر من مآثر السلطان عبد الحميد بناؤه المدرسة المحمودية التي تقع إلى جوار باب السلام وباب الرحمة من المسجد النبوي « وهي مدرسة عظيمة، بناها السلطان وفيها مكتبة تضم ستين ألف كتاب، ويكثر فيها الطلاب الذين يحصلون على منحة السلطان»^(٣٥). وفي الحرم المكي كان هناك مكتبتان، الثانية منهما هي مكتبة السلطان عبد الحميد خان « وهي في الطابق العلوي... وحجراتها مفروشة بالسجاد، والضوء فيها متوفر، ويمكن للقارئ أن يجلس في راحة تامة ليطلع ويقرأ ما يريد، وهذه المكتبة على باب دريية، ومتصلة بباب السلام»^(٣٦).

ومن مآثر السلطان الاقتصادية ما كان من جهود الحكومة التركية لدعم الحالة الاقتصادية في الحجاز، منها « تقسيم الأموال على العلماء والشيخوخ، بالإضافة إلى قيام جمال باشا بتوزيع الحبوب على أهل المدينة المنورة»^(٣٧).

وفي المجال الاجتماعي والصحي يذكر من المآثر التركية في المدينة المنورة مكتب البريد والبرق خدمة للحجاج، والأربطة (مسافر خانة) التي « يصل عددها إلى أربعمئة رباط، ولكل بلد رباط خاص به، الرباط المصري، والرباط الشامى... ويسكن في هذه الأربطة أهل كل بلد دون دفع أجره الإقامة، والمستشفى هنا كبير جدا، ومديره هو أمين أفندي يعمل معه جراحان...»^(٣٨) زد على ذلك أن في ينبع «وجد منذ عهد الأتراك آلة

ومشاهدة هذه التوسعة تجعل الإنسان يقدر لاستكمالها اثنتي عشرة سنة على الأقل... وتقدر تكلفة هذه التوسعة بمئتي مليون روبية، وجميع نفقات هذه التوسعة على حساب الملك سعود ومن ماله الخاص....»^(٤٥).

وعن المسجد النبوي الشريف وتوسعته كتب حافظ لدهيانوي (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م): « إن هذا المسجد نموذج نادر لفن العمارة، وهو أحسن المباني في العصر الحاضر، لقد بنته الحكومة التركية ليس بالمال والذهب، ولكن بالإخلاص والحب والاحترام... وعلى مرّ العصور ستظل دقات قلب الأتراك تدق في عمارة المسجد النبوي».

ثم كان القسم الثاني من عمارة المسجد في عهد الملك سعود والملك فيصل، وهاهي المحبة وهاهو الإخلاص، كلاهما معا يشعان من مبنى المسجد النبوي، والفن السابق مع الفن اللاحق، كلاهما نموذجان رائعان مختلفان لفن العمارة، وملامح عمارة كل زمان تختلف عن أختها في روعتها وحسنها....»^(٤٦).

وعن توسعة المسجد النبوي الشريف يقول الأديب ماهر القادري: « سمعت أن الحكومة السعودية أنفقت على توسعة المسجد النبوي حتى الآن (١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) حوالي ٤٠٠ مليون روبية، وتم الانتهاء من التوسعة ناحية باب الرحمة، والتوسعة بكل المقاييس ليست جميلة فقط، بل تستحق المشاهدة....»^(٤٧).

٢ - المكان / التاريخ (مكة / المدينة / الطائف/ العلا)
كانت الحجاز بمدنها مكة والمدينة والطائف من الأمكنة التي تتخذ شخصية زمانية في الرحلات الأردنية، إذ المكان يستحضر تاريخيا لارتباطه بعهد مضى، أو لكونه علامة في سياق حاضر^(٤٨)، والرحلة الأردنية حادت في أكثر ما ذكره الدكتور سمير عبد الحميد عن



السلطان عبد الحميد

رحلته عام ١٩٥٥م: «إن التسهيلات التي يتلقاها الحجاج في ظل الحكومة السعودية لم يجدوها أيام الحكم التركي، ولا يمكن مقارنتها بها، فقد كان أكبر ما يقلق الحجاج عدم وجود الأمن من ناحية، وخطورة الطرق من ناحية أخرى، فقد كان السفر يتم على ظهور الجمال، حيث يمضي الحجيج في قوافل، فيخرج عليهم البدو المسلحون من أحضان الجبال، يهددونهم ويسلبون أموالهم وأرواحهم... ولكن بعد قدوم السلطان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود قام بالضرب على أيدي هؤلاء البدو، فصارت الطرق الآن في جزيرة العرب آمنة»^(٤٩).

ومن جماليات المكان في هذا المجال بالمفهوم الإسلامي للجمال «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب» مشاهدة دار القصاص التي أقامتها الحكومة لتطبيق الشريعة الإسلامية، إذ وضع على بوابتها «ألبوم» كبير فيه صور المتهمين الذين حوكموا، سواء بقطع اليد إن كانوا من السارقين، أو بالقتل إن كانوا ممن ارتكبوا جرائم قتل، كان المارون يتطلعون بعيون ملؤها العبرة....»^(٤٤).

إن كثيرا من المآثر التي تتعلق بتحسين الأحوال المعيشية والأمنية والخدمية في جزيرة العرب / الحجاز، مما يعد في حسنات الملك عبد العزيز، التي أشادت بها الرحلات الأردنية، غير أن هذه المآثر تنامت وتنوعت كما وكيفا في عهد أبنائه من بعده في مجال التعليم والمرافق الحيوية كالصحة، فضلا عن المشهد الحضاري المادي لبعض المدن كالرياض في الرحلات الرسمية، والطائف وجدة ومكة والمدينة المنورة في الرحلات الذاتية.

ومن المآثر التي تصدر المشهد الحضاري والديني معا، توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي، فعن توسعة الحرم المكي يقول المودودي: « أثناء إقامتنا في مكة المكرمة، أتاحت فرصة مشاهدة توسعة الحرم المكي...



الملك سعود والملك فيصل

والصلاة ذات صدى خاص، واستشعار مميز، يقول ممتاز مفتي بعد أن تخلص من المطوف: «الآن لا يوجد حائل بين وبين ربي، لا الشوط الأول، ولا الشوط الثاني ولا الثالث... لأول مرة في الحياة يصبح بيت ربي من أجلي... لأول مرة يصبح بيت ربي أمامي وجها لوجه، وأنا أدور حوله دوراناً كله ولَهَّ... في ذلك الوقت لم تكن هناك لذة أطيب من لذة الطواف، كان قلبي يود أن يستمر ويستمر...»^(٥١).

وعن سماعه للأذان في الحرم المكي يقول: «حين سمعت الأذان لأول مرة، وأنا جالس في الحرم، شعرت بهزة في داخلي... ما هذا الشيء؟ قضت من موضعي، أحسست كأنني أسمع الأذان لأول مرة في حياتي، لقد هزني الأذان هزاً شديداً، ونهضت واقفاً، وتسمرت في مكاني... من ذا الذي ناداني»^(٥٢).

رحلات عن تاريخ الإسلام في هذه الأماكن (الحجاز) إلا ما كان من ملامح عارضة عن الآثار الإسلامية، من ذلك جبل أحد في رحلة أيام في ديار الحبيب لعبادت بريلوي عام ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، إذ الموت في هذا المكان ذوروائح عطرية مميزة تبعث من حكايات المجاهدين والشهداء، فقد أخرج التاريخ جبل أحد من الوحشة إلى الجمال، ومن العتمة إلى الضياء، ومن النسيان إلى الحياة، «يقع هذا المطعم في حضان جبل أحد، وهنا سمعنا حكايات الماضي عن جبل أحد، وشاهدنا آثار عظمة الأزمنة القديمة، حكايات الشجعان وحكايات المجاهدين، وحكايات الغزاة وحكايات الشهداء... ومن الجبل الأصم التي عمت الميدان كله، وراحت أوراق الماضي تتقلب أمام عيني وأنا جالس في المقهى (المطعم)...»^(٤٩).

وكذلك يقال عن مقبرة البقيع التي هي علامة مميزة لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم، فهي جزء من تاريخ الإسلام فيها جمالية العبرة، وفيها محاسن التضحية، إذ يقول أسعد كيلايني: «هنا يرقد أصحاب مقبرة البقيع الذين نمضي على دربهم، نخبرنا آثارهم بأننا جميعاً إلى زوال، وأننا خلقنا من تراب وإلى تراب نمضي، ومدينة البقيع مدينة الصامتين، تحوي بداخلها أوراقاً لا تعد ولا تحصى من تاريخ الإسلام عبر السنين، كل قبر علامة... متاع العبرة متناثر في كل مكان»^(٥٠).

٣- المكان / الدين (مكة / المدينة / الرياض)

كانت الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقصد الرحلات الأردنية الأول، ومعقد الغاية، محط الأمل في التقرب إلى الله بأداء فريضة الحج، فكان طابعها دينياً في المرتكز والرؤية، ولذلك كانت الوقفة في هذا المكان هي الأوفى والأطول.

وجاء الحديث عن فضائل هذا المكان يحمل قيماً روحية، مما أضفى عليه جمالية خاصة في ظواهر متنوعة، فالتراسل بين المشاعر وقدسسية المكان ظاهرة في الرحلات الأردنية، إذ إن التعبير عن الأحاسيس جاء متساوفاً وعظمة المكان، فالدعاء والقرآن والأذان

ويؤكد دعاة هذه الحركة أنه: « إذا وجد في كلام ابن تيمية أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يتعارض مع الحديث النبوي فسوف نتركه فورا »^(٥٧).

أما البعد الديني السياسي، فقد كشفت الرحلات عن مواقف رسمية وفردية ذات تعلق بمناهضة الدعوات المنحرفة عن جادة الإسلام، حيث كان للملك عبدالعزيز موقف من القومية العربية، فقد أوضح مساوئها في خطاب له بعد وصوله مكة قادما من نجد وفيه رد على الهتافات (عاشت القومية العربية) التي ردها بعض قصار النظر من الذين اجتمعوا في دار المؤتمر الواقعة في أجياد، في الاحتفال بيوم جلوس السلطان أثناء غيابه^(٥٨).

ويكاد المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز (٨ ربيع الآخر ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م) يكون الظاهرة السياسية الوحيدة التي تناولتها الرحلات الأردنية، لأهميتها في سياق التشكيل السياسي للجزيرة العربية، أما نشاط رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي فلا نجد التفاتا لهما.

وعلى الرغم من ثناء بعض الرحلات الأردنية على عدد من علماء الجزيرة العربية كمحمد بن إبراهيم وابن باز الذي كان بالإضافة إلى إخلاصه وعلمه وذكائه وبساطته، نال محبة الناس ونال شهرة في جميع البلاد بسبب جرأته في قول الحق^(٥٩)، وعلى الرغم من امتداحه لكتاب «النظرية السياسية» لأبي الأعلى المودودي^(٦٠) الذي قد يكون صادرا عن الرؤية ذاتها التي ذهب إليها الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من أن المودودي تأثر في كتابه المذكور بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٦١)، على الرغم من هذا وذاك فإن مفهوم العلماء فيما يقول حمد الجاسر للدعوة «محدود ونظرا لعدم معرفتهم الواسعة لشؤون العالم الواسع من حولهم، فإن هذا يحول بينهم وبين الوصول إلى التطوير العلمي، وبالتالي يكون تأثيرهم على أرباب الحكومة ضعيفا»^(٦٢).

٤ - المكان / الذات

حمل الرحالة الأردنيون مدنهم التي ارتحلوا عنها إلى مختلف الأماكن التي حطوا رحالهم فيها، خاصة

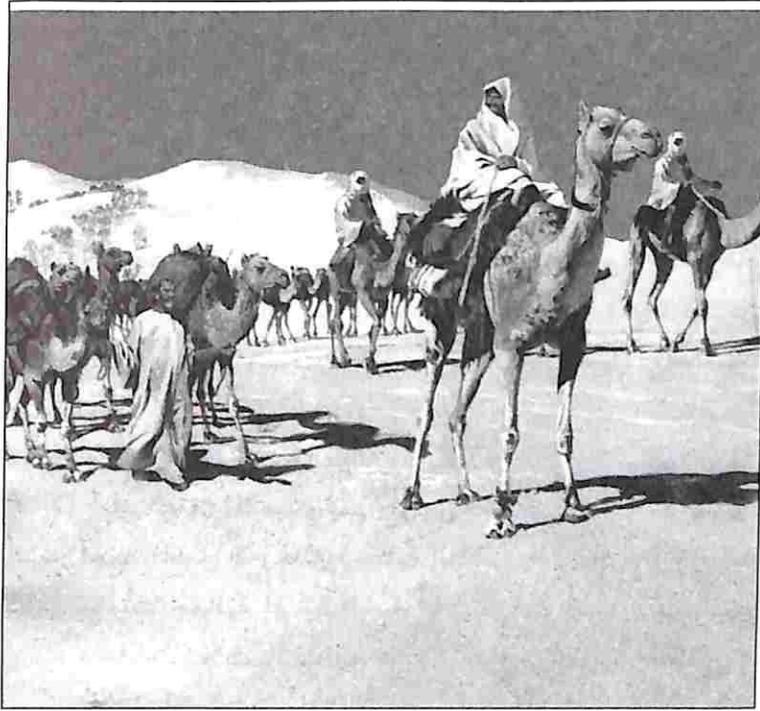
وعن الحلم والرؤية والواقع في زيارة المدينة المنورة يقول أسعد كيلاني في مشاهدات الحرمين: « هذه الحارة... حارة أحلامي، الحارة التي تمر من الحائط الشرقي للمسجد النبوي، وتتجه إلى الحجرة النبوية، لقد قضيت عمرا طويلا مضطربا مشتاقا إلى هذه الحارة، ورحت في أحلامي أرسم صورة لهذه الحارة، لم أشعر بشيء، وشعرت كأنني في بيتي، وكل شيء حولي هو ملك لي، يرفرف على وجودي »^(٥٣).

وتجسيد المكان للدين ملحوظ في بعدين، أحدهما: عقدي تعبدي، وثانيهما: سياسي.

أما البعد العقدي التعبدي فقد رأى من خلاله الدكتور نصير أحمد ناصر في رحلته (حكاية الجذب والشوق) ثلاث صفات جمالية إذ يقول: « أعجبتني في أهل البلاد محاسن ثلاث وأغبطهم عليها: فهم موحدون وبعيدون عن الشرك وعبادة الأصنام، وهم متوكلون على الله، وهم يعتبرون الأولاد والحياة أمانة إلهية، لهذا لا يصرخون، ولا يبكون على من مات، ولا يتأسفون، بل يخفضون الرأس أمام المشيئة الإلهية... »^(٥٤).

ومن جماليات المكان السلوكية الدينية ما لاحظته أسعد الكيلاني وأثر فيه، وهو غياب صورة الشيخ الصوفي ومريده إذ يقول: « والأمر الثاني الذي أثر في كثير، هو أنني لم أجد أي مزار أو خانقاه أو خرافة الشيخ والمريد، لا يوجد أي منظر أو مظهر من مظاهر الشرك في أي مدينة أو بلدة، والواضح هنا أن جميع أهل البلاد كلهم من الموحدون، يكرهون الشرك وعبادة الأصنام »^(٥٥).

والبعد العقدي التعبدي في جزيرة العرب في صفائه ونقائه من البدع مرده إلى الحركة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي الحركة التي هدفت إلى تطهير الإسلام من البدع، ومن هنا كما يقول الدكتور شجاع نانوس في رحلته (سفرنامه حج وحرمين): « استمدت قوتها حتى اليوم، وهي حركة تقول بأنه لا يوجد في الإسلام فرق، فالمسلمون كلهم فرقة واحدة يعبدون إليها واحدا لا شريك له، ويتبعون سنة الرسول ﷺ ويتمسكون بتعاليم القرآن الكريم، وهذا يعني عدم التقليد... »^(٥٦).



مدن الحجاز والرياض وجدة، إذ ربطوا بين هذه الأماكن بتناظر وتآلف تارة، وبمغايرة ومفارقة تارة أخرى، في مجالات شتى، البشرية والسياسية والحضارية والاجتماعية، إذ نجد حضوراً للكهنوت وروالبندي وكشمير ولاهور، ذلك أن المكان «الذي نعبه يرفض أن يبقى منغلقاً بشكل دائم، إنه يتوزع، ويبدو كأنه يتجه إلى مختلف الأماكن دون صعوبة، ويتحرك نحو أزمنة أخرى»^(٦٣). غير أن المتلقي يجد أحياناً استحضاراً عاماً للهند وباكستان دون تخصيص مكان مقيد محدد، وفي ذلك دلالة على اتصال الوطن بالداخل على الرغم من الانفصال عنه في الخارج، فضلاً عن أن حضور المكان الغائب لم يكن جمالاً مادياً مقيداً مغلقاً، بل أكثر حضوره معنوياً مفتوحاً على إشارات ودلالات متعددة.

وإذا كانت الذاكرة تستدعي في المكان النظائر والمفارقات، وتقيس الأشباه بالنظائر في حدود التجربة المباشرة والأفق القريب المحدود المحسوس، فإن الحلم يقفز إلى أمل، وإلى الأفق غير المنظور سعياً للتغيير، وأملاً في التبديل، فهو يبيلور تشوف النفس، ويعكس خيال خاطر، في تجاوزه للواقع، ومجانبته للمحسوس، وحياده عن المشاهد، فتبدو في المكان مستويات متعددة للحلم تسافر في أزمنة مختلفة، وترتحل إلى أماكن بعيدة لترسم نماذج بشرية، وأخرى حضارية^(٦٤).

ففي المدينة المنورة يربط القاضي محمد بن سليمان المنصوربوري بين أهلها وسكان كشمير بالقول: «وشرفاء العرب وأولادهم، حسان الوجوه، يعلو وجوههم بياض تشوبه حمرة، إذا ما نظرت إليهم حسبتهم من كشمير»^(٦٥).

فمن الأحلام السياسية التي تتسلل من خلال المكان ما جاء في اقتراح مولانا عبدالمجيد دايأ أبادي إلى السلطان عبدالعزيز «أن تقوم الهيئة الدينية في المملكة باستشارة العلماء في حل المشكلات التي تواجهها الحكومة السعودية في الحجاز، واقترح من علماء الهند (عدداً)»^(٦٦). وفي هذا السياق ما جاء من دعاء الأديب ماهر القادري إلى الله أن يوفق الملك سعود «ليحتذي خطوات حكومة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه»^(٦٧)، وبالسؤال الذي يتعاور فيه الحلم الأمل بالحقيقة والواقع توجه أبو الأعلى المودودي لنائب رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن

وللمشهد الحضاري المماثل ظهور في الرحلة الأردنية إلى الجزيرة العربية فمكة المكرمة على سبيل المثال: «ليست مجرد مكان للعبادة فقط، بل هي مدينة حضارية وثقافية، فيها المدارس والمستشفيات... وجميع مظاهر الحضارة والمدنية، ولو صرفنا النظر عن أماكن العبادة لما شعر الإنسان بأن هذه مدينة تقع في جزيرة العرب، وتشعر وكأنك جالس في مدينة لكهنو أو كانبور أو أكره... الأسواق واسعة فسيحة... وتوجد مكاتب للبرق والهاتف... وأماكن للعلاج والتطبيب، وصيدليات لبيع الأدوية من كل نوع، حتى تلك الموجودة في صيدليات دهلي وأوده والبنجاب والدكن وبمباي والكجرات... كل هذا يعيد إليك ذكريات الهند»^(٦٨).

العشرين التي تمنى لو قام العارفون باللغة الأردنية بإيصالها إلى الحكومة السعودية^(٧١) تحقق أكثرها، مما رفع من شأن جمالية المكان في مكة والمدينة وعرفات والمشاعر المقدسة.

ومما لفت انتباه أسعد كيلاني في رحلته عام ١٩٧٦م، وجود تماثلين أمام بوابة سفارة تايلاند بجدة، وقد عبر عن غضبه بتساؤل: « كيف وصلت هذه التماثل إلى أرض التوحيد؟ لا بد أن تكون قد وصلت في الخفاء، لأنه غير مسموح بدخول التماثل إلى أرض المملكة »^(٧٢).

بقي أن أشير إلى أن مما تتكامل به الرؤية في جمالية المكان (الجزيرة العربية) في الرحلات الأردنية، الوقوف عند أساليب تشكيل المكان التي جاءت بطرائق متنوعة، كالوصف بوظائفه المختلفة الزخرفية والتفسيرية والإيهامية، والسرد بجمالياته القصصية والحوارية، والتعبير بأدواته من اللغة والتصوير، وهذا ما لا تستوعبه هذه التغطية التحليلية المقيدة بعدد من الصفحات. وعسى الله أن يهيئ لها قدرة في الاستيعاب في قادم الأيام، إنه ولي ذلك والمعين عليه. ■

المنكر في نجد: « هل يمكن أن تطبقوا أحكامكم على أي فرد من أفراد الأسرة المالكة؟ ففكر وقال: من يعرف أنه ارتكب أي جرم، فلا توجد قوة تعفيه من العقاب »^(٧٣).

وبتراءى لهم الاقتصادي في بعض الرحلات الأردنية من خلال نقد الذات / الجماعة المسلمة لعجزها وقصورها عن أن يكون لها باع في مجال الصناعة التي تعج بها أسواق مكة والمدينة ويتهافت الحجاج على شرائها ليعود ناتجها إلى خزائن لندن وواشنطن.

والزائرون للمسجد النبوي لا يحترمون المقام النبوي، إذ يقرأ المزور الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويردد الزائرون من ورائه ما يقول بصوت عال، لدرجة أن المسجد كان يرتج من أصواتهم، ونسي هؤلاء قوله تعالى: ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾، إن ما يقوم به المسلمون اليوم لا يتطابق أبداً مع التعليمات الإسلامية، فالزائر يأتي لا تمييز عنده، لا يعرف الوقار ولا السكنينة ولا الخشوع ولا التواضع...^(٧٤).

تجدد الإشارة إلى أن مقترحات غلام رسول مهر

الهوامش:

- | | | |
|------------------------|-------------------------|--|
| (١٢) ص ١٢٥ - ١٣٢. | (١٩٩٥، ص ١٩٠. | (٤٨) حركية الإبداع، (٦٣) جماليات المكان، |
| (١٣) ص ٢٦٨. | (٢٠) الجزيرة العربية في | جاستون باشلار، |
| (١٤) ص ٦٥٧. | أدب الرحلات الأردني، | ترجمة غالب هلسا، |
| (١٥) ص ٢٦٤. | ص ١٥٤. | دار الجاحظ، بغداد، |
| (١٦) ص ٢١٧ - ٢٣٥. | (٢١) ص ١٥٥. | (٤٩) الجزيرة العربية في |
| (١٧) انظر ص ٥١١. | (٢٢) ص ١٦٧. | أدب الرحلات الأردني، |
| - ٥١٥. | (٢٣) ص ١٦٢. | ص ٤٤٢. |
| (١٨) ص ٥٥٨. | (٢٤) ص ١٩٥. | (٥٠) ص ٤٢١. |
| (١٩) انظر ص ٢٦٥. | (٢٥) ص ١٧١. | (٥١) ص ٤١١. |
| (٢٠) ص ١٢٥. | (٢٦) ص ١٩٥. | (٥٢) ص ٤١٣. |
| (٢١) ص ١٣٧. | (٢٧) ص ١٧٨. | (٥٣) ص ١٤٥. |
| (٢٢) ص ٤٣٤ - ٤٣٥. | (٢٨) ص ١٧٢. | (٥٤) ص ٤٣٤. |
| (٢٣) ص ١٤٧. | (٢٩) ص ٢٠٢. | (٥٥) ص ٤٣٢. |
| (٢٤) ص ١٤٦. | (٤٠) ص ٢٢٦. | (٥٦) ص ٢٨٧. |
| (٢٥) ص ٤٣٨. | (٤١) ص ٢٥٠. | (٥٧) ص ٣٦٧. |
| (٢٦) ص ٤٤٠. | (٤٢) ص ٢٢٣. | (٥٨) انظر ص ٢٢٨ - ٢٢٩. |
| (٢٧) ص ٤٤٢ - ٤٤٣. | (٤٣) ص ٢٣٤ - ٢٣٥. | (٥٩) ص ٢٥٢ - ٢٥٤. |
| (٢٨) ص ٤٦٥. | (٤٤) ص ٥٢٠. | (٦٠) ص ٢٩٠. |
| (٢٩) المكان في النص، | (٤٥) ص ٢٧٢ - ٢٧٣. | (٦١) ص ٢٧٤. |
| صباحي الطبعان، | (٤٦) ص ٤٤١ - ٤٤٢. | (٦٢) الجزيرة العربية، ص |
| المعرفة، ع ٣٧٨، آذار | (٤٧) ص ٢٣٢. | (٦٣) ص ٢٧٤ - ٢٧٣. |
| (١) نشر جامعة الإمام | (٢) ص ١١٠ - ١١١. | (٦٤) الجزيرة العربية في |
| محمد بن سعود | (٣) ص ١١٤ - ١١٥. | أدب الرحلات الأردني، |
| الإسلامية بالرياض | (٤) ص ١١٨ - ١١٩، وانظر | ص ١٤٩. |
| ضمن سلسلة آداب | (٥) انظر ص ٥٣١ - ٥٣٢. | (٦٥) ص ٢٥٥. |
| الشعوب الإسلامية. | (٦) ص ٩. | (٦٦) انظر إضاءة النص، |
| الجزيرة العربية في | (٧) ص ١٥. | اعتدال عثمان، دار |
| أدب الرحلات الأردني، | (٨) ص ٣٢ - ٧٨. | الحدائق، بيروت، ط١، |
| ص ٣٨ - ٣٩. | (٩) ص ٥٤. | ١٩٨٨م، ص ٧. |
| (٢) ص ١١٠ - ١١١. | (١٠) انظر ص ٧٦ - ٧٧. | (٦٧) الجزيرة العربية في |
| (٣) ص ١١٤ - ١١٥. | (١١) ص ١٠٤. | أدب الرحلات الأردني، |
| (٤) ص ١١٨ - ١١٩، وانظر | | ص ٢٥٠ - ٢٥١. |
| ص ١٤٩. | | (٦٨) ص ٣٣٤. |
| (٥) انظر ص ٥٣١ - ٥٣٢. | | (٦٩) ص ٢٨٨. |
| (٦) ص ٩. | | (٧٠) ص ٢٤٥. |
| (٧) ص ١٥. | | (٧١) انظر ص ٢٥٦ - ٢٦١. |
| (٨) ص ٣٢ - ٧٨. | | (٧٢) ص ٤٢١. |